

12-5-2022

موضوعات وصف المعركة في شعر الفتوحات الإسلامية - Topics Describing the Battle in the Poetry of Islamic Conquests: A Thematic Study

Ilham Eslim Suleiman Al-Qarala

Balqa Applied University, ilhamalgaralih@yahoo.com

Follow this and additional works at: <https://digitalcommons.aaru.edu.jo/jois>



Part of the [Islamic Studies Commons](#)

Recommended Citation

Al-Qarala, Ilham Eslim Suleiman (2022) "موضوعات وصف المعركة في شعر الفتوحات الإسلامية - دراسة" Topics Describing the Battle in the Poetry of Islamic Conquests: A Thematic Study," *Jordan Journal of Islamic Studies*: Vol. 18: Iss. 4, Article 10.

Available at: <https://digitalcommons.aaru.edu.jo/jois/vol18/iss4/10>

This Article is brought to you for free and open access by Arab Journals Platform. It has been accepted for inclusion in Jordan Journal of Islamic Studies by an authorized editor. The journal is hosted on [Digital Commons](#), an Elsevier platform. For more information, please contact rakan@aarj.edu.jo, marah@aarj.edu.jo, u.murad@aarj.edu.jo.

موضوعات وصف المعركة في شعر الفتوحات الإسلامية - دراسة موضوعية -

د. إلهام إسماعيل سليمان القرالة*

تاريخ وصول البحث: ٢٠٢١/٠٩/٢٣ تاريخ قبول البحث: ٢٠٢٢/٠١/١٩ م

ملخص

ترمي هذه الدراسة لاستجلاء موضوعات وصف المعركة في الشعر العربي إبان فترة الفتوحات الإسلامية، حيث شهدت تلك الفترة حركة شعرية رافقت فتوحات المسلمين في الأقطار كافة، فهناك أشعار قالها شعراء سبق لهم قول الشعر ونظمه، في المقابل ظهرت أشعار لشعراء أنطقتهم الفتوحات الإسلامية، وكانت تلك الأشعار ضمن سياق ديني ووصفي لحروب المسلمين في الفتوحات. وكان لتلك الفتوحات أثر بارز في إغناء جميع الحقول الدراسية والبحثية، فقد تناولها دارسو التاريخ من منظور تاريخي، وأيضاً تناولها الباحثون في جوانب أخرى كالجانب الديني، والفكري، والسياسي، وغيرها. أما في حقل الأدب، فقد أثرت تلك الفتوحات ساحة الأدب بالأشعار التي قيلت خلالها، وبرزت في تلك الأشعار مضامين تتوافق مع تعاليم الدين والعقيدة الإسلامية، حيث تمثلها الشعراء في صدد وصفهم لمجريات المعارك التي حمل رايها المسلمون، ووفقاً لذلك فإن هذه الدراسة تعنى بالحديث عن موضوعات وصف الشعراء للمعركة في الفتوحات الإسلامية، حيث كانت هذه الموضوعات تتمحور في الحث على الجهاد، وطلب الشهادة، ووصف أسلحة القتال بمختلف أشكالها، ووصف الخيل، ووصف القادة والمجاهدين ومجريات المعركة. الكلمات الدالة: المعركة، الفتوحات الإسلامية، الجهاد، المسلمين.

Topics Describing the Battle in the Poetry of Islamic Conquests: A Thematic Study

Abstract

This study aims to clarify the themes describing battles in Arabic poetry during the period of the Islamic conquests as that period witnessed a poetic movement that accompanied the conquests of Muslims in all countries. There were poets composed by poets who had previously said poetry and organized it. On the other hand, there were poems that were appeared by poets who were uttered because of the Islamic conquests, and those poems were within a religious and descriptive context of Muslim wars in the conquests. These conquests had a prominent impact in enriching all fields of study and research, as scholars of history dealt with them from a historical perspective, and researchers also dealt

* أستاذ مساعد، كلية الكرك الجامعية، جامعة البلقاء التطبيقية – ilhamalgaralih@yahoo.com

with them in other aspects such as the religious, intellectual, and political aspects, among others.

In the field of literature, these conquests affected the field of literature with the poems that were said during that period, and in these poems, content that corresponds to the teachings of religion and Islamic belief emerged, as poets represented them in the course of describing the course of the battles that the Muslims carried their banner, and accordingly, this study is concerned with addressing the topics of poets' description for the battle in the Islamic conquests, where these topics centered on urging jihad, asking for martyrdom, describing weapons of combat in its various forms, describing horses, describing leaders and fighters, and the course of the battle.

Keywords: Battle, Islamic Invasions, Jihad, Muslims.

المقدمة.

إن تتبع موضوعات وصف المعركة في شعر الفتوحات الإسلامية يُعدّ السّمة البارزة لهذه الدراسة، حيث عكفت الباحثة على تبين تلك المضامين والجوانب الموضوعية التي رافقت وصف المعركة في مخيلة الشعراء في فترة الفتوحات الإسلامية، ولهذا فقد وقع اختيار الباحثة على هذا الأمر.

أهمية الدراسة.

على الرغم من وجود دراسات سابقة تناولت الصورة الفنية والشعرية في شعر الفتوحات الإسلامية مثل "الصورة الفنية" في شعر الفتوحات الإسلامية وكتاب "شعر الفتوحات الإسلامية" للنعمان القاضي، إلا أن هذه الدراسة انمازت بكشفها عن المضامين والموضوعات التي خلّت من الصنعة والزخرفة عند شعراء الفتوحات الإسلامية، وأسهمت ببناء الجانب الفني عند الشعراء، لذلك قامت الباحثة بتناول نماذج متعددة لشعراء مختلفين شهدوا تلك الفتوحات.

أهداف الدراسة.

إن المطلب الرئيس في هذه الدراسة هو تبين مضامين وصف صورة المعركة في شعر الفتوحات الإسلامية، ولذلك عمدت الباحثة للكشف عن أهم الموضوعات والمضامين التي ظهرت في وصف المعارك عند شعراء الفتوحات الإسلامية، فجاءت هذه الدراسة متضمنة للجزئيات التالية:

- مهاد حول الفتوحات الإسلامية، وحركة الشعر خلالها.
- موضوعات وصف المعركة:
- الحث على الجهاد وطلب الشهادة.

إلهام القرائة

- وصف أسلحة المعركة.
- وصف الخيل.
- وصف المجاهدين ومجريات المعركة.

سبب اختيار الدراسة.

جاء دافع دراسة موضوعات وصف المعركة في شعر الفتوحات الإسلامية لتسليط الضوء على ذلك الوصف الذي انبعث من ساحات القتال والجهاد، فالدراسة لم تشتمل على شعر الحنين إلى الأهل والديار مثلاً، ولم تورد الباحثة أيضاً شعر الرثاء الذي أعقب تلك المعارك، وإنما كان التركيز على تلك الصور التي قيلت بحماسة في أرض المعركة.

مشكلة الدراسة.

لم تواجه الباحثة مشكلات في منهجية الدراسة، فالصورة والوصف تعد من حقول الدراسات التي أثرت ساحة الأعمال الأدبية، ولكن كان هنالك عائق يتمثل بشح الدواوين التي تحمل أشعار الفاتحين المسلمين آنذاك، فكان البديل العودة لأمهات الكتب القديمة التي حملت ترجمة، وشعراً، وسيراً، وأحداثاً لوقائع الفتوحات الإسلامية، لذا وجب التنويه هنا أن هذه الدراسة اعتمدت على دواوين شعراء الفتوحات الإسلامية، والشعراء الذين ورد شعرهم في كتب التاريخ والتراث، وكذلك الدراسات السابقة للموضوع.

وعليه، فقد اعتمدت الباحثة لجلاء هذه الموضوعات على نقصي النماذج الشعرية الدالة عليها، وذلك من خلال المنهج الوصفي التحليلي.

مهاد حول الفتوحات الإسلامية وحركة الشعر خلالها.

كانت الحروب شيئاً ملازماً لحياة العرب منذ القدم، فمنذ العصر الجاهلي قامت كثيرٌ من الحروب لأسباب متعددة منها الماء أو الكلاء، ومنها الأسباب القبلية وتلك المشاحنات التي كانت تدبُّ بين القبائل لأغراضٍ مختلفة، وكانت هذه الحروب والمعارك وقائعاً خلّدتها الروايات وأشعار العرب على مرّ العصور، حيث صور الشعراء في تلك الوقائع مجريات الأحداث بكافة نواحيها.

وجاءت الفتوحات الإسلامية لتحمل سبباً دينياً لقيامها، وبدأت تلك الفتوحات منذ عصر صدر الإسلام، وكان نشر الإسلام الهدف السامي لتلك الفتوحات في شتى بقاع الأرض، وقد وضع قادة المسلمين وجندهم نصب أعينهم مهمة رفع راية الإسلام، وإيصال دين الإسلام للأرجاء كافة، فداعي الفتوحات هو الجهاد في سبيل الله تعالى، وذلك أسمى غايات المسلمين، حيث توحدت أمة العرب من المسلمين حول هذا الغرض السامي، بعد أن كانت أمة متناحرة تتعاورها الفتن والنزاعات، فاستطاعت أن تتغلب على ما يعتورها من أسباب ضعف، وأن تبني على ما هدمته من الإمبراطوريات العظيمة

كياناً للمسلمين العرب، و"إن هذه لمعجزة بلا ريب، ووجه الإعجاز فيها أنها حدثت بأيدي العرب الذين كانوا إلى سنوات قبائل متنافسة، لا تهدأ منازلها، ولا تطمئن فيما بينها إلى قرار، ويدهي أن قيام الإسلام هو أول هذه العوامل التي حققت المعجزة، فهو الذي وحد العرب بعد شتات، وجعل قبائلهم المتنافرة أمة متضافرة" (١).

وكان الإيمان بالله تعالى بصدق الدافع لتآلف قلوب المسلمين وانصوائهم تحت راية واحدة، "فجمع بينهم بما سنّ من نظم روحية واجتماعية، دفعت في أفئدتهم قوة معنوية عظيمة، وحفزتهم للاندفاع إلى ما وراء تخوفهم ومواجهة الفرس والروم في أعقار دورهما، وهذه القوة المعنوية هي أسس الظفر في كل نضال، فصاحبها لا يعرف الهزيمة ولا يرضاهما، ويستهيئ بكل صعب، بل يستهيئ بالحياة نفسها في سبيل الظفر بالغاية التي يريد بلوغها" (٢).

ومن الأهداف التي جاء من أجلها الجهاد وتلك الفتوحات رفع المظلمة عن المستضعفين الذين تجنّت عليهم قوى الظلم والاستبداد، حيث كان هذا الفعل تلبية للدعوة الإلهية، إذ قال تعالى في محكم تنزيله: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا * الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ ۚ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٧٥-٧٦].

وامتدت فترة تلك الفتوحات منذ عهد الخليفة أبي بكر الصديق رضي الله عنه مروراً بخلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وعثمان ابن عفان وعلي بن أبي طالب - رضوان الله عليهما -، ومن جاء بعدهم من الخلفاء والقادة المسلمين الذين حملوا لواء الدين والدفاع عنه.

ولم تكن أيام الفتوحات الإسلامية بمعزل عن الحياة الأدبية، إذ أسهمت في تغذية ساحة الشعر بالدين وتعاليمه الجديدة، فتأثر الشعراء في عهد الفتوحات بتعاليم الدين الإسلامي، واستطاعوا أن يوجهوا أشعارهم وجهة الدين، فالشعر منذ القدم يتوطن في نفس العربي كيفما كانت ظروفه، ويستخدمه صاحبه للتعبير عن قضايا عصره وما يستجد في بيئته.

ولذلك جاء شعر الفتوحات مواكباً لتلك الأحداث وسائراً مع تعاليم الدين الإسلامي، فهجر الشعراء أغراض الشعر المناكفة للدين والعقيدة، وأصبح الشعر متوجهاً للدعوة الإسلامية والنضال في وجه خصومها، وأيضاً برزت موضوعات أخرى للشعر في عهد الفتوحات غير الدعوة للإسلام، كالحث على الجهاد في سبيل الله تعالى، وطلب الشهادة، وأيضاً وصف أسلحة القتال في تلك الفتوحات، بالإضافة لوصف الخيل التي كان يمتطي صهوتها المقاتل المسلم، ناهيك عن وصف أفعال القادة ومجريات المعارك التي كانوا على رأس قيادتها، "فشعر الفتوح هو شعر بطولة ومواجد ووصف للحروب" (٣).

والشعر العربي منذ نشأته يعدُّ لسان حال أهل المجتمع، وهو سلاح معنوي اهتم به الإنسان العربي على مرّ العصور حتى يومنا هذا، فلا غرابة أن يكون الشعر من أسلحة ودعائم الدعوى الإسلامية، فأصبحت رسالته في فترة الفتوحات الإسلامية سليمة قديمة لا تعرف فحشاً أو رذيلة، وأصبح الشعر يتغذى من تعاليم الإسلام وروحه السمحة متأثراً بسمو الأخلاق، والصفات الحميدة.

ولا يفوتنا الأمر في هذا الصدد أن نشير لذلك التشابه الذي يجمع بين شعر الفتوحات في الإسلام وشعر الفخر قبله،

إلهام القرائة

ولكن مع وجود فارق بينهما، إذ يكاد " لا يخرج شعر البطولة هذا عن أن يكون لوناً من ألوان الفخر الذي عرفته الحياة الجاهلية، غير أنه اكتسب هذا الصبغ الإسلامي الخفيف أو القوي، فهو يتحدث عن الإسلام والدين، وهو يذكر الله والرسول ﷺ، وهو يصدر عن روح الجماعة أكثر مما كان شعر الفخر الجاهلي الصادر عن الفرد والقبيلة"^(٤). ولذلك كان للفتوحات الإسلامية أثر بارز في إشعال جذوة الشعر حينها، حيث أخذ الشعراء الفاتحون يحضون على الجهاد، فاشتعلت المنافسة على الاستشهاد بين صفوف المسلمين المجاهدين، فأشادوا بتلك البطولات، وأيضاً أشادوا بقدرتهم وعزائمهم التي واجهوا بها الأعداء، وقدم الشعر والشعراء في تلك المرحلة حافزاً للناس للدفاع عن الإسلام، والعمل على نشره.

موضوعات وصف المعركة في شعر الفتوحات الإسلامية.

١- الحث على الجهاد وطلب الشهادة.

أشعلت الفتوحات الإسلامية فتيل النفور في سبيل الله تعالى، وجعلت نفس المسلم المحارب توافقة للجهاد في سبيل رفع راية الإسلام والدفاع عنه، وجعلته متأهباً لأمرين لا ثالث لهما، إما النصر وإما الشهادة للقاء وجه الله تعالى، فكانت جذوة الإسلام زاد تلك النفوس المقاتلة، وعُدَّت بذلك ملمحاً بارزاً من ملامح المعركة وساحات القتال، فاستطاع عدد من الشعراء أن يوظف هذا المضمون في قصائده التي رافقت تلك الفتوح؛ لتصبح جزءاً لا يتجزأ من موضوعات المعركة والحديث عنها. ومن الأشعار التي قبلت في هذا الجانب قول الصحابي الجليل ضرار بن الأزور ﷺ، حيث ظهرت قضية التسليم بالموت عنده واضحة، وكأنها رسالة منه للجميع بأن ينفروا في سبيل الله، فالجنة هي دار النعيم التي تنتظر مجيء الشهداء الذين قضوا نحبهم تلبية لمرضات الله، إذ قال:

المَوْتُ حَقٌّ أَيْنَ لِي مِنْهُ الْمَفَرُّ وَجَنَّةُ الْفِرْدَوْسِ خَيْرُ الْمُسْتَقَرِّ
هَذَا قِتَالِي فَاشْهَدُوا يَا مَنْ حَضَرَ وَكُلُّ هَذَا فِي رِضَا رَبِّ الْبَشَرِ^(٥)

وبقيت هذه الفكرة تطرق أذهان المسلمين المجاهدين في الفتوحات الإسلامية، حتى أنطقت من لم يكن شاعراً مسبقاً، ففكرة الحث على الجهاد وطلب الشهادة رافقت تفكيرهم في تلك الفتوحات، فالصحابي الجليل والقائد المسلم خالد ابن الوليد ﷺ قد أثارت فتوحات المسلمين قول الشعر في نفسه، حيث قال:

هُبُّوا جَمِيعاً إِخْوَتِي أَرْوَاحاً نَحْوَ الْعَدُوِّ نَبْتَغِي الْكِفَاحَ
نَرْجُو بِذَلِكَ الْقُورَ وَالنَّجَاحَ إِذَا بَدَلْنَا دُونَهُ أَرْوَاحَ
وَيَرْزُقُ اللَّهُ لَنَا صَلاَحاً فِي نَصْرِنَا الْعَدُوَّ وَالرَّوَاحَ^(٦)

فهذه دعوة من القائد العسكري المسلم يوجهها لجماعة المجاهدين المسلمين، حيث فيها شحذ للهمم، وحث على الجهاد، إذ يطلب من المجاهدين النهوض لملاقاة العدو، والنصر عليه هو الرجاء والمقصد، ولذلك المطلب تُقدَّم الأرواح رخيصة، وهذا فيه دلالة على طلب الشهادة في قول القائد خالد بن الوليد - رضي الله عنه -.

وللقائد خالد بن الوليد أبيات شعرٍ تمثلت في هذا المضمون، حيث قال في إحدى المعارك التي دارت حول دمشق:

اليَوْمُ يَوْمٌ فَازَ فِيهِ مَنْ صَدَقَ لاَ أَزْهَبُ الْمَوْتَ إِذَا الْمَوْتُ طَرَقَ
عَسَى أَرَى غَدًا مَقَامَ مَنْ صَدَقَ فِي جَنَّةِ الْخُلْدِ وَالْقَى مَنْ سَبَقَ^(٧)

فالأبيات تشير إلى أسلوب الترغيب عند القائد خالد بن الوليد، إذ يبيث الحماسة في قلوب المسلمين المجاهدين، ويُعلمهم بأن هذا اليوم سيخلد فيه من صدق وعده مع الله، جاعلاً من نفسه أنموذجاً لهم في استعداده لملاقاة الموت إن حان وقته، مذكراً إياهم بوعده الله الحق، حيث عُدَّت الجنة مقاماً كريماً للذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه.

وهذا جندب بن عامر بن الطفيل^(٨) أحد شعراء عصره في الجاهلية، إذ أدرك الإسلام فأسلم، وفي انخراطه في مجتمع الإسلام الجديد تتغير مضامين شعره، فهو في الأبيات التالية يتمثل تعاليم الإسلام، ويبذل أعلى ما يملك طلباً لمرضات الله وعفوه، مشيراً إلى طلب الشهادة سبيلاً للخلد في جنات النعيم، إذ قال:

سَأَبْذِلُ مُهْجَتِي أَبَدًا لِأَنْبِي أُرِيدُ الْعَفْوَ مِنْ رَبِّ كَرِيمٍ
وَأَضْرِبُ فِي الْعَدَا جَهْدِي بِسَيْفِي وَأَقْتُلُ كُلَّ جَبَّارٍ لَئِيمٍ
فَإِنَّ الْخُلْدَ فِي الْجَنَاتِ حَقٌّ تَبَاحٌ لِكُلِّ مُقْدَامٍ سَلِيمٍ^(٨)

وكان المقاتل المسلم في الفتوحات الإسلامية يؤمن إيماناً مطلقاً لا ريب فيه بوقوف الله ﷻ لصفه مع بقية إخوته من المجاهدين، وهذا الصدق في الإيمان قد أعطى دافعاً كبيراً للمسلمين في إقبالهم على المعركة، والاستبسال لإعلاء كلمة الله تعالى، فالشاعر قيس بن هبيرة المكشوح يرجع الفضل لله تعالى في نصرهم، حتى استطاعوا أن يفلوا هامات الأعداء بالسيوف المهنددة، وجعلوها متناثرة متطايرة، إذ قال:

وَقَدْ أَبْلَى إِلَهُ هُنَاكَ خَيْرًا وَفَعَلَ الْخَيْرَ عِنْدَ اللَّهِ نَامِي
نُفْلَقُ هَامَهُمْ بِمُهَنَّدَاتٍ كَأَنَّ فَرَاشَهَا قَيْضُ النَّعَامِ^(٩)

وفي موقعة "مرج دابق" يقف ضرار بن الأزور موقف المحارب المسلم، ويثير في نفوس المجاهدين الحمية والبسالة، داعياً إياهم التوجه نحو الأعداء لترتوي أسياфهم من دماء تلك الجيوش، وفي هذا صورة أراد بها الشاعر الترغيب والحث على الجهاد، فالواجب يحتم عليهم في هذا المقام أن يردوا عن دين الله كل كافر، وذلك فيه - بلا شك - مرضاة الله، إذ يعتقد الله تعالى في يوم الجزاء كل مجاهد قاتل بحمية وصدق وبسالة، إذ قال:

أَلَا فَاحْمِلُوا نَحْوَ اللَّئَامِ الْكَوَاذِبِ لِيَتَرَوْا سُيُوفًا مِنْ دِمَائِ الْكَتَائِبِ
وَرُدُّوا عَنِ الدِّينِ الْمُعْظَمِ فِي الْوَرَى وَأَرْضُوا إِلَهَ الْعَرْشِ رَبَّ الْمَوَاهِبِ

(١) هو: جندب بن عامر بن الطفيل الكلابي العامري الهوازني، كان أبوه شاعراً جاهلياً وفارساً فتاكاً وسيداً من سادات بني جعفر بن كلاب من بني عامر بن صعصعة من قبيلة هوازن.

إلهام القرائة

فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ يَبْتَغِي عِثْقَ رَبِّهِ مِنْ النَّارِ فِي يَوْمِ الْجَزَا وَالْمَارِبِ
فَيَحْمِلُ هَذَا الْيَوْمَ حَمْلَةً ضَيْعِمَ وَيُرْضِي رَسُولًا فِي الْوَرَى غَيْرَ كَاذِبٍ^(١٠)

وبقيت الهمم العالية لأولئك الأبطال المسلمين كشعاع من نور، حيث أذكت في نفوسهم الحث على الجهاد وطلب الشهادة في سبيل الله تعالى، فاستمدوا لذلك المطلب الشجاعة والقوة في همهم الباسلة، فالشاعر عيَّاض بن غُثَم^(١٢) قد عبَّر عن هذا المضمون في "يوم الجزيرة"، إذ قال:

سَتَحْمِلُ فِي جَمْعِ اللَّثَامِ الْكَوَاذِبِ وَتَفْرِي رُؤُوسًا مِنْهُمْ بِالْقَوَاضِبِ
وَتَهْزِمُ جَيْشَ الْكُفْرِ مِنْأَ بِهِمَّةٍ تَطُولُ عَلَى أَعْلَى الْجِبَالِ الرُّوَاسِبِ
وَتَنْصُرُ دِينَ اللَّهِ فِي كُلِّ مَشْهَدٍ بِفَتَيَانِ صِدْقٍ مِنْ كِرَامِ الْأَعَارِبِ
فَيَا مَعْشَرَ الْأَصْحَابِ جِدُّوا وَجُنْدُوا وَكِرُّوا عَلَى خَيْلٍ كِرَامِ الْمَنَاصِبِ
فَدُونُكُمْ قَصْدُ الصَّلَيبِ وَبَادِرُوا لِنُرْضِي إِلَهَ الْخَلْقِ مُعْطِي الْمَوَاهِبِ^(١١)

وفي هذه الأبيات إشارة إلى عامل التحفيز عند الشعراء المجاهدين، فالحث على الجهاد يتضمن دعوة من الشاعر للمقاتلين مفادها نصره الله ﷻ والثبات لإعلاء راية الاسلام، مصوراً هم الأبطال العالية كههم الجبال، لا بل تطولها، فيها ستقطع رؤوس أولئك اللثام الكفرة، وسينتصر دين الله بفتيان صدقوا الله في وعدهم، فهم من كرام القوم والعرب. وعليه، فقد كانت الأشعار عند المجاهدين المسلمين تحمل في غالبها دعوة للجهاد والحث عليه، وتشتمل أيضاً رسائل ترغيب للشهادة وطلبها في سبيل الله تعالى، وما كان لمثل هذه المطالب والمضامين أن تتحقق لولا صدق الوازع الديني المتغلغل في نفوس أولئك المجاهدين، فكان إيمانهم بالله إيمان حق، وأنظارهم ترون إِمَّا لنصر يُمنِّي النفس، وإِمَّا لشهادة ينالون بها رضا الله تعالى، ورسوله الكريم ﷺ، واللافت هنا أن الشعراء الذين وردت لهم نماذج شعرية تحت هذه الجزئية قد تمكنوا من رصد تلك المشاعر الجياشة عند المجاهدين الذين شاركوا في الفتوحات الإسلامية.

٢- وصف أسلحة المعركة.

أرض المعركة هي ساحة القتال، وهذه الساحة تشتمل على عناصر من مقاتل وسلاح وخيل يكرُّ عليها الفارس ويفرّ إن لزم الأمر، ومنذ أن ظهر الشعر في بداياته الأولى كان الشاعر العربي يتغنى بسيفه ورمحه وترسه، فهذه العناصر هي المعين لتحقيق المراد، إِمَّا في الغزو وإِمَّا للدفاع عن النفس.

"ومن الأمور التي نراها عند الشعراء المحاربين حرصهم على وصف أسلحتهم، والتغني بما لها من صفات، والحديث

(٢) هو: عيَّاض بن غُثَم الفهري القرشي، صحابي أسلم قبل صلح الحديبية وكان قد شهدا أرسله الخليفة أبو بكر الصديق لغزو العراق وعمل تحت قيادة خالد في العراق وبعدها في الشام ضد الروم، وكان مع أبي عبيدة بن الجراح في فتح شمال سوريا وينسب إليه فتح حلب وإعزاز، وشهد اليرموك وكان من أمراء الكراديس فيها.

عن قوتها وصرامتها، فيصفون السيف، والرمح، والدرع، وغيرها من أسلحة الحرب^(١٢).

١.٢ وصف السيف: لم تختلف الصورة التي جاءت لوصف هذه الأدوات عند شعراء الفتوحات الإسلامية، فنكاد نجد الفارس فرحاً منتشياً لامتلاكه أجود تلك الأدوات، فيعلي من شأنها في شعره، ويقدر منزلتها حق تقدير، ومن هؤلاء الشعراء الذين تناولوا أدوات القتال بالوصف في الفتوحات الإسلامية الشاعر عمرو بن معد يكرب الزبيدي، فأنظاره لا تقع إلا على سيف يقطع الأبدان إلى أشلاء في ساحة القتال، وبفلّ هامات رؤوس الأعداء عند ضربها، حيث قال:

نَهْدَاءً، وَذَا شُطْبٍ يَقِي — دُ الْبِيضِ وَالْأَبْدَانِ قَدْ (١٣)

ويعصور عمرو أيضاً سيفه في موطن آخر وكأنه غديرٌ تسيل الدماء من جنباته، فتترك أثراً على ذلك السيف لتبدو كالنقش أو الكتابة، وفي هذه الصورة دلالة على كثرة إراقته لدماء الأعداء في ساحة القتال، إذ قال:

حُسَاماً تَرَاهُ كَمَثَلِ الْغَدِيرِ — عَلَيْهِ كَنَمَتِ النَّاقِشِ (١٤)

والقعقاع بن عمرو التميمي من الشعراء الذين برعوا في هذا الجانب، حيث صور شدة المعركة وضراوة القتال مع الأعداء، ففي يوم دمشق كان القعقاع ومن معه من المسلمين يحاصرون الروم ويقاثلونهم بسيوفهم القوية الصارمة ما يزيد على شهر، حيث قال:

أَقَمْنَا عَلَى دَارِي سُلَيْمَانَ شَهْرًا — نُجَالِدُ رُومًا قَدْ حَمُوا بِالصَّوَارِمِ (١٥)

وكان بعض الشعراء يشير إلى بلد صنع السيوف، وينسبونها إلى صانعيها، فالشاعر قيس بن هبيرة يذكر بلاد نجد التي صنعت فيها سيوفهم، وكان هذا الشأن يبعث على الفخر والإباء في نفوس المجاهدين والشعراء، حيث قال:

تَقَدَّمْنَا أَمَامَكَ كَمَا تَرَانَا — نَبِيدُ الْقَوْمِ بِالسَّيْفِ النَّجَادِي (١٦)

ونرى القائد المسلم خالد بن الوليد رضي الله عنه في "يوم فحل" يصف سيفه بالقوة والصلابة عند الضرب، حيث قال:

أَضْرِبُهُمْ بِصَارِمٍ مُهْتَدٍ — ضَرْبَ صَلِيبِ الدِّينِ هَادٍ مُهْتَدٍ (١٧)

ولعل توظيف الشعراء للصورة الفنية في وصف السيف قد أضفى واقعيةً وجمالاً على أبياتهم الشعرية، بالإضافة لبعثها الحماسة في نفوس المجاهدين.

٢.٢ وصف الرمح: ومن الأسلحة المستخدمة في المعارك الرمح، وقد ذكره كثيرٌ من الشعراء بالوصف الدقيق أثناء تصويرهم لحظات القتال، فالقعقاع بن عمرو التميمي يصف في البيت التالي وقع الرماح على الأعداء كالمطر المdrار، إذ قال:

يَوْمَ الرِّدَاعِ فَعِنْدَ فَحْلٍ سَاعَةً — وَخَزَّ الرَّمَا حِ عَلَيْهِمْ مِدْرَارٌ (١٨)

ويشبه في البيت التالي القعقاع سرعة الرماح في انطلاقها تجاه الأعداء، فهي سريعة كسرعة الطيور في الهواء عندما تتقوّض على فرائسها، حيث قال:

عَشِيَّةَ رُحْنَا بِالرَّمَا حِ كَأَنَّهَا — عَلَى الْقَوْمِ أَلَوَانَ الطُّيُورِ الرَّسَاسِ (١٩)

إلهام القرائة

والرماح قاسية كنوى القسب لا تنكسر عند عمرو بن معد يكرب في إحدى قصائده، وهي بذلك تكتسب قوتها من الفارس عمرو وقومه، لتدل هذه الصورة على أثر التحام جيش المسلمين بجيش الأعداء، وحرصهم على نيل الشهادة في سبيل الله تعالى أو النصر، حيث قال:

أَتَتْكَ زُبَيْدٌ بِالرَّمَا حِ كَأَنَّهَا نَوَى الْقَسَبِ، عَمْرُو لِلْقَاءِ يَقُودُهَا^(٢٠)

أما الشاعر علقمة بن الأرت العبسي، فقد جعل الرماح التي تتهاوى على الأعداء في ساحة الوغى سبباً في انفصالهم عن زوجاتهم، إذ أفقدتهم تلك الرماح حياتهم، حيث قال:

نَحْنُ قَفَلْنَا كُلَّ وَافٍ بِآلِهِ مِّنَ الرُّومِ مَعْرُوفَ النَّجَادِ مَنْطِقٍ
وَنَحْنُ طَلَقْنَا بِالرَّمَا حِ نِسَاءَهُمْ وَأَبْنَاءَ إِلَى أَزْوَاجِنَا لَمْ تُطْلَقِ^(٢١)

ومن الفرسان الذين لم يسبق لهم قول الشعر قبل الفتوحات الإسلامية خالد بن سعيد بن العاص، حيث أنطقته وقعة "مرج الصفر"، وقال ليصف ضراوة القتال في أرض المعركة، ويطلب رمحاً من أحد المجاهدين لنفاد رماحه في المعركة:

مَنْ فَارِسٍ كَرِهَ الطَّعَانَ يُعِيرَنِي رُمَحًا إِذَا نَزَلُوا بِمَرْجِ الصَّفَرِ^(٢٢)

وكان بعض الشعراء في ذلك العهد يشيرون إلى ذكر أسماء للرماح المستخدمة، وبعضاً من صفاتها وأسماء صانعيها، وفي هذا الوصف إعجاب بتلك الرماح وما شابهها من المعدات المستخدمة في القتال، فزياد بن حنظلة قد أشار في إحدى أبياته إلى الرماح الصلبة والقيمة التي يستخدمها، وهي تنسب إلى صانعها "سمهر"، حيث قال:

وَقَدْ هَوَتْ مِنَّا تَنْوُجٌ وَخَاطَرَتْ بِحَاضِرِهَا وَالسَّمْهَرِيَّةُ تَضْرِبُ^(٢٣)

٣.٢ وصف الدرع: أما الدروع التي كانت أداة وقاية للمحارب والمقاتل في ساحة المعركة، فقد كان لها جانبٌ من الوصف عند الشعراء والفرسان، فالشاعر عمرو بن معد يكرب يختار درعاً فضفاضة دلاصاً؛ لتحمي جسده من طعن الرماح ووقع السهام، حيث قال:

أَعْدَدْتُ لِلْحَرْبِ فَضْفَاضَةً دِلَاصًا تَتَنَّى عَلَى الرَّاهِشِ^(٢٤)

ويشير عمرو في البيت التالي إلى صانع درعه "داود"، والإشارة هنا؛ للدلالة على نفاسة هذا الدرع وقيمتها، حيث قال:

وَمَقَاضِيَةٌ كَالنَّهْيِ مُحْكَمَةٌ مِّنْ صُنْعِ دَاوُدَ أَبِي سَلَمٍ^(٢٥)

وعليه، فقد اتضح للباحثة مدى اهتمام الشعراء وفرسان الفتوحات الإسلامية بقضية وصف أسلحة المعركة، كالسيوف، والرماح، والدروع، وهي تعد من موضوعات ذلك الوصف عند أولئك الشعراء، وذلك لما لها من شأن كبير في تحقيق الانتصارات، لذا كان الفرسان في تلك المعارك يتروون في اختيار أجود هذه الأسلحة، فهي العامل المساند للمجاهد في أرض المعركة، وقد وظف الشعراء الصور والتشبيهات الفنية المختلفة لبيان أثر استخدام المجاهدين لأسلحتهم في المعركة.

٣- وصف الخيل.

لعل في الحديث عن الخيل المشاركة في معارك الفتوحات الإسلامية أن نرى الشعراء والفرسان مهتمين في هذا الجانب، فوصف الخيل والإعلاء من شأنها وبيان صفاتها كان من مضامين وموضوعات وصف المعركة عند شعراء الفتوحات الإسلامية، إذ يجب أن تتصف هذه الخيل بصفات جيدة وفريدة؛ لتلي مرام الفارس الذي يمتطي صهوتها. والشاعر عمرو بن معد يكرب من الفرسان الذين كان لهم اهتمام بهذا الجانب، إذ لا يخرج لأرض المعركة إلا وهو معدٌّ لفروسه، فيختار منها الضامر، فتبدو كأنها رشاء بئر، قصيرة الشعر -جرداء-، إذ قال في وصفها:

وَأَجْرَدٌ مُطَرِّدًا كَالرِّشَاءِ وَسَيْفٍ سَلَامَةٍ ذِي فَائِشٍ^(٢٦)

وفي موطن آخر يصف عمرو حصانه بأنه يخلو من العيوب، ولديه القدرة على اللحاق بالأعداء وإدراكهم، حيث قال:

أَعْدَدْتُ بِالْحَدَثَانِ مُطَرِّدًا لَدُنِ الْمَهْرَةِ غَيْرُ ذِي وَصَمٍ^(٢٧)

ويستمد عمرو من الخيل التي يركبها القوة والعزم، وهو بتلك القوة يبيت الرعب والذعر في صفوف الأعداء، إذ قال:

لَقَدْ عَلِمْتُ خَيْلُ الْأَعَاجِمِ إِنِّي أَنَا الْفَارِسُ الْحَامِي إِذَا النَّاسُ أَحْجَمُوا^(٢٨)

وكانت الخيل أيضاً، من موضوعات صورة المعركة عند الشاعر والفارس القعقاع التميمي، فهو لا يقع اختياره إلا على الخيل التي تحتل العناء في أرض المعركة، حتى وإن تعرضت للطعن من الأعداء؛ ليبقى الفارس على صهوتها صامداً حتى وإن بقي وحيداً يجابه الأعداء بنفسه، إذ قال في ذلك:

أَجَالِدُهُمُ وَالْخَيْلُ تَحْطُ فِي الْقَتَا وَأَنْتَ وَحِيدٌ قَدْ حَوَتْكَ الْكَتَائِبُ^(٢٩)

وكان بعض الشعراء يجمع لعزمه وقوته صلابة تلك الخيل، فهي بأسٌ يضاف إلى بأسهم؛ لذلك مجدوا صفات هذه الخيل، فكانت العرب قديماً تعتز بخيلها وتفتخر بها، فالقعقاع يصف جبهته حصانه واكتمال نمو أسنانه إشارة إلى قوته وصلابته، حيث قال:

مَا زِلْتُ أَرْمِيهِمْ بِقَرْحَةٍ كَامِلٍ كَرَّ الْمُبِيحِ رِيَاءَةَ الْإِبْسَارِ^(٣٠)

ومن الفرسان الذين أنطقتهم الفتوحات الإسلامية قول الشعر الصحابي الجليل عمار بن ياسر رضي الله عنه، حيث شهد غزوات المسلمين كلها مع النبي ﷺ، وشارك بعد وفاة رسول الله في فتوحات المسلمين، فهو في البيتين التاليين يصور الحرب وكأنها تجارة يخوض في سومها بخيل لا تنكسر أو تتراجع أبداً، والغاية في ذلك حماية دين رسولنا الكريم محمد ﷺ، إذ قال:

إِنْ جَالَتِ الْخَيْلُ بِلَا انْخِسَارٍ وَقَامَ سُوقُ الْحَرْبِ مِنْ عَمَارٍ

حِمَى لِدَيْنِ الْمُصْطَفَى الْمُخْتَارِ صَلَّى عَلَيْهِ الْوَاحِدُ الْقَهَّارِ^(٣١)

وكان للخيل العربية الأصيلة ذكر في أشعار الفتوحات الإسلامية، حيث كان أصحاب تلك الخيول من الفرسان دائمي التغني والتمجيد بهذا الصنف من الخيول، وكان لها مسميات أشهرها (الخيول العراب)، فالشاعر أسيد بن المتشمس يصف حالة الذعر التي أصابت الأعداء حينما غزتهم الخيل الأصيلة ومن فوقها فرسان المسلمين، فأدبروا والموت يتناهشهم

إلهام القرائة

من كل حذب وصوب، حيث قال:

رَمَيْتَاهُمْ بِالْخَيْلِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ قَوْلُوا صِرَاعاً وَاسْتَعَادُوا النَّوَابِحَا
غَدَاةَ زَاوَا خَيْلِ الْعَرَابِ مُغِيرَةً تُقَرِّبُ مِنْهُمْ أَسْدُهُنَّ الْكَوَالِحَا^(٣٢)

ويعصور الشاعر ابن محجن الثقفي ظهور الخيل وكأنها مأوى ومسكن للفرسان كريمي النسب، وهذا فيه دلالة على مكانة الخيل في نفس الفارس العربي، حيث قال:

إِنَّ الْكِرَامَ عَلَى الْجِيَادِ مَبِيتُهُمْ فَدَعِيَ الرِّمَاحَ لِأَهْلِهَا وَتَعَطَّرِي^(٣٣)

وأشار الشاعر سهيل بن عدي إلى قوة الخيل الجرداء في القتال، إذ كان لها دورٌ كبير في ارتواء الرماح العطشى من دماء الخصوم، حيث قال:

وَلَمْ نَشْنِ الْأَعْنَةَ حِينَ سِرْنَا بِجُرْدِ الْخَيْلِ وَالْأَسَلِ النَّهَالِ^(٣٤)

وقد ذكر الشاعر قيس بن هبيرة المكشوح قدرة التحمل عند الخيل المشاركة في الفتوحات الإسلامية، إذ جاءت هذه الخيل من صنعاء اليمن وصولاً لبلاد الشام، حيث قال:

جَبَبْتُ الْخَيْلَ مِنْ صَنْعَاءَ تُرْدِي بِكُلِّ مُدَجَّجٍ كَاللَّيْثِ حَامِي^(٣٥)

وعلى ما تقدم، فقد تبين للباحثة اهتمام الشعراء والفرسان في الفتوحات الإسلامية بموضوع وصف الخيل المشاركة في تلك الوقائع، إذ كان لها شأن كبير ودورٌ فاعل في صولات المسلمين الفاتحين آنذاك، لذلك كانوا يتخيرون أجود الخيول وأفضلها، ويحرصون على اقتناء الأصيل من خيل العرب، وقد ظهرت مثل هذه الصفات الجيدة في أشعارهم التي مجدوا من خلالها خيلهم المشاركة في معاركهم ونزالاتهم.

٤ - وصف القادة والمجاهدين ومجريات المعركة.

يعد وصف صنيع الأبطال والفرسان المسلمين في الفتوحات الإسلامية من باب الفخر والتمجيد، ولكن هذا المضمون قد صدر بصورة جماعية في غالبه، لذلك اختلفت صورة الفخر هنا عن ذلك المضمون الفردي في الشعر العربي، حيث كان الشاعر قديماً يفخر بنفسه وبقبيلته فقط؛ وذلك إظهاراً للمكانة التي يحظون بها، ولكن في شعر الفتوحات الإسلامية أصبح الهمُّ والوازع جمعياً، وقد كان للإسلام أثرٌ في ذلك، حيث دعا ديننا الحنيف إلى التكاثر والتآلف، حتى أصبح الجميع كالجسد الواحد تحت راية الإسلام.

وقد عُني الشعراء في الفتوحات الإسلامية بموضوع وصف المجاهدين المسلمين وذكر مآثرهم في المعارك التي خاضوها، وأشار الشعراء أيضاً في حديثهم عن هذا المضمون إلى وصف مجريات القتال وما دار من أحداث في تلك الفتوحات، ومن هؤلاء الشعراء القعقاع بن عمرو التميمي، إذ يشير في الأبيات التالية لانتصار المسلمين على أعدائهم من الفرس والروم، حيث اجتمعاً لقتال المسلمين في "يوم الفراض"، ولكن بفضل من المولى ﷺ تحقق النصر للمسلمين، فأنشد القعقاع يصف

مآثر الفرسان المسلمين وما أبلوه في ساحة القتال، حيث كان الفخر والتمجيد بالجمع لا بالفرد، حيث قال:

لَقَيْنَا بِالْفِرَاضِ جُمُوعَ رُومٍ وَفُرْسٍ عَمَّهَا طُولُ السَّلَامِ
أَبَدْنَا جَمْعَهُمْ لَمَّا التَقَيْنَا وَبَيْنَنَا بِجَمْعٍ بَنِي رِزَامِ
فَمَا فَتِنَتْ جُنُودُ السَّلْمِ حَتَّى رَأَيْنَا الْقَوْمَ كَالْغَنَمِ السَّوَامِ^(٣٦)

وفي مشهد حربي آخر، يصور القعقاع سجالاً دار بين المسلمين والروم في معركة اليرموك، فكانت الغلبة للمسلمين، حيث كانت السيوف في أيديهم رقيقة حادة تجز رؤوس جنود الروم، وفي هذا وصف لفعال القادة ومن معهم من المجاهدين، حيث قال:

قَتَلْنَا مَنْ أَقَامَ لَنَا وَفِينَا نَهَايَهُمْ بِأَسْيَافٍ رِقَاقِ
قَتَلْنَا الرُّومَ حَتَّى مَا تُسَاوِي عَلَى الْيَرْمُوكِ تَفَرُّقُ الْوَرَقِ^(٣٧)

والقعقاع من الشعراء الذين وصفوا صورة الحرب داخل المعركة، " فالشاعر المحارب من يستطيع فقط أن ينقل صورة الحرب من داخل المعركة، وخاصة عندما تشتد الخطوب، ويعلو غبار المعركة وتتدادى الخيل وتتدفع للقتال"^(٣٨)، فهو في البيتين التاليين يشير إلى طلب الفرسان المسلمين لقاء هرمز قائد الفرس، حيث جالت الخيل في أرض الكواظم في العراق، وأحاط المسلمون بالقصور في مدينة الحيرة، حيث قال:

فَنَحْنُ وَطَنُنَا بِالْكَوَاطِمِ هُرْمَزَاً وَبِالثَّنْيِ قَزَنِي قَارِنٍ بِالْجَوَارِفِ
وَيَوْمَ أَحْظُنَا بِالْقُصُورِ تَتَابَعَتْ عَلَى الْحِيرَةِ الرُّوحَاءِ إِحْدَى الْمَصَارِفِ^(٣٩)

وفي موطن آخر يشير القعقاع إلى حالة الذعر والهلع التي أصابت الأعداء عند لقاء جيش المسلمين، حيث أشار أيضاً إلى صنيع الفرسان المسلمين وبلاتهم في أرض المعركة، إذ صورههم يُرسلون الموت للأعداء بصورة سريعة، وتمكنوا من اجتياز نهر "شير"^(٤٠) متسلحين لذلك بإيمانهم وصدق عقيدتهم، فتطايرت جِزَاء ذلك قلوب الأعداء عندما رأوا السيوف في أيدي المجاهدين، حيث قال:

وَمَا إِنْ طَبَّهُمْ جُبْنٌ وَلَكِنْ رَمَيْنَاهُمْ بِرَامِيَةٍ دُعَافِ^(٤١)
فَتَحْنَا نَهْرَ شِيرٍ بِقَوْلِ حَقٍّ أَتَانَا لَيْسَ مِنْ سَجْعِ الْعَوَافِ^(٤٢)
وَقَدْ طَارَتْ قُلُوبُ الْقَوْمِ مَنَا وَهَدُّوا الضَّرْبَ بِالْبَيْضِ الْخِفَافِ^(٤٣)

والتخطيط الناجح في المعركة من أهم أسباب الظفر على العدو، خاصة إذا كان التخطيط للثقل من قبضة العدو وحيله، فالقعقاع يشير إلى قدرته -ومن معه من المسلمين- بالتخلص من حصار العدو لهم، حيث استطاعوا أن يقلبوا الأمور على الأعداء، فشتتوا شملهم، وبعثوا عليهم الرماح والسهام كالموت لتتال منهم، حيث قال في ذلك:

فَنَحْنُ حُسْنًا بِالرَّمَامِ بَعْدَمَا أَقَامُوا لَنَا فِي عَرْصَةِ الدَّارِ تَرْثُبَا
قَتَلْنَاهُمْ مَا بَيْنَ قَلْعٍ وَمُطَلَقٍ إِلَى الْقَيْعَةِ الْغُبْرَاءِ يَوْمَا مُطْنَبَا^(٤٤)

إلهام القرائة

وورد في خزانة الأدب للبغدادي أبيات شعر نسبت للشاعر أبي محجن الثقفي، حيث يشير من خلالها إلى عظيم بلائه في القتال، وهو يتحدث أيضاً عن صنيع بقية الجند من المسلمين بصيغة الجماعة، وهذا ما أثر عن شعراء الفتوحات الإسلامية، حيث كان التمجيد للفعال بشكل جمعي؛ كي تبقى روح الجماعة متماسكة وصامدة أمام الأعداء، وفي ذلك يقول الثقفي:

لَمَّا رَأَيْنَا خَيْلًا مُحَجَّلَةً	وَقُومَ بَغْيِي فِي جَحْفَلٍ لَجِبِ
طَرَنَّا إِلَيْهِمْ بِكُلِّ سَلْهَبَةٍ	وَكُلِّ صَافِي الْأَيْمِ كَالذَّهَبِ
وَكُلِّ عَرَاصَةٍ مُثَقَّفَةٍ	فِيهَا سِنَانٌ كَشْفَلَةِ اللَّهِبِ
وَكُلِّ عَضْبٍ فِي مَثْنِهِ أَثَرٌ	وَمَشْرِفِي كَالْمِلْحِ ذِي شُطْبِ
لَمَّا التَقَيْنَا مَاتَ الظَّلَامُ وَدَارَ	الْمَوْتُ دَوْرَ الرَّحَى عَلَى الْفُطْبِ
فَكُنَّا يَسْتَكْبِضُ صَاحِبُهُ	عَنْ نَفْسِهِ، وَالنُّفُوسُ فِي كُرْبِ
إِنْ حَمَلُوا لَمْ نَزِمِ مَوَاضِعَنَا	وَإِنْ حَمَلْنَا جَثُوا عَلَى الرُّكْبِ ^(٤٥)

فالأبيات يشير من خلالها الشاعر إلى تمجيد فعال الفرسان في أرض المعركة، ويصف من خلالها مجريات تلك الواقعة، وكيف كانت حال المسلمين وحال الأعداء، إذ أشار في البيت الأخير إلى صلابة المسلمين وبقائهم دون تراجع عندما كان العدو يحمل عليهم، وعندما تأتي فرصة للمسلمين ويحملون على الأعداء، تراهم -أي الأعداء- يركعون على ركبهم خوفاً، وفي هذا تصوير أيضاً لنهاية تلك المعركة، فلا يجثو على ركبتيه إلا الخاسر، وأيضاً وصف لبلاء قادة وأبطال الجيش المسلم، لدلالة على النصر والظفر.

ويروي لنا صاحب الأغاني أبيات شعر رائعة وفريدة، إذ يفخر صاحبها بفعاله يوم القادسية، وتشير بعض الروايات إلى أن صاحب هذه الأبيات هو الشاعر بشر بن ربيعة، حيث قال فيها:

أَنْخُتُ بَبَابَ الْقَادِسيَّةِ نَاقَتِي	وَسَعْدُ بْنُ وَقَاصٍ عَلَيَّ أَمِيرُ
تَذَكَّرَ هَذَاكَ اللَّهُ وَقَعَ سُيُوفُنَا	بَبَابَ قَدِيسٍ وَالْقُلُوبُ تَطِيرُ
عَشِيَّةً وَدَّ الْقَوْمُ لَوْ أَنَّ بَعْضَهُمْ	يُعَارِ جَنَاحِي طَائِرٍ فَيَطِيرُ
إِذَا مَا فَرَعْنَا مِنْ قِرَاعِ كَتِيبَةٍ	دَلَفْنَا لِأُخْرَى كَالْجِبَالِ تَسِيرُ
تَرَى الْقَوْمَ فِيهَا أَجْمَعِينَ كَأَنَّهُمْ	جَمَالٌ بِأَحْمَالٍ لَهْنٌ زَفِيرُ ^(٤٦)

فالشاعر في الأبيات السابقة بمجد ويعلي من شأنه وشأن من معه في وقعة القادسية، إذ عملت سيوفهم عملها في رقاب الأعداء، وأصبح الفرد منهم هلعاً متطاير القلب، حيث تمنى العدو لو أنه يستعير جناحي طائر ليطير ويبتعد عن الموت الذي سيلاقيه، فكان لهم المسلمون بالمرصاد آنذاك، فإن تفرغوا من قتال كتيبة، ساروا لما بعدها من الكتائب بعزم وإصرار.

ويمثل هذه الصور، كان الشعراء في الفتوحات الإسلامية يمجّدون أفعال القادة والمحاربين المسلمين، وكان لديهم الاهتمام البالغ لوصف مجريات القتال في أرض المعركة، إذ كان لوصف هذا المضمون دور واضح في بث روح الحماسة في نفوس المسلمين، وإعطائهم دافعاً معنوياً للصمود في وجه الأعداء ومجابهتهم، خاصة تلك الأبيات التي تصور مقتل قادتهم.

الخاتمة.

- وبعد دراسة الجزئيات السابقة، فقد خلصت الباحثة لعدة نتائج، أبرزها:
- إن الأشعار التي قيلت في فترة الفتوحات الإسلامية جاءت متضمنة لتعاليم الاسلام، وقد بث فيها قائلوها مضامين إسلامية دينية بحتة، كالحث على الجهاد، وطلب الاستشهاد في سبيل الله تعالى.
 - خلت قصائد الشعراء إلى حد كبير في الفتوحات الإسلامية من مظاهر الصنعة والزخرفة الفنية شكلاً، وذلك لانشغالهم بالفتوحات الإسلامية، حيث كان التركيز منصباً لديهم على جانب المضمون.
 - كانت تلك الأشعار نابعة من عاطفة صادقة، إذ جاءت عفو خاطر دون تكلف تظهر من خلالها الروح الجهادية، وصدرت لتعبر عن روح الجماعة التي استطاعت أن تطمس معالم العصبية القبلية.
 - برع الشعراء الفرسان في جانب وصف صورة المعركة، وما تشتمل عليه من الأدوات، فكان الفارس المجاهد متأنيماً في اختيار سيفه ورمحه وترسه؛ ليتسنى له تقديم الأفضل في ساحات القتال، لذلك ركزوا على وصف هذه الأسلحة في أشعارهم، وهي بالطبع كانت الحافز لهم في مواجهة الأعداء.
 - استطاع الشعراء أن يصفوا الخيل المشاركة في الفتوحات الإسلامية وصفاً دقيقاً، حيث تبين أن المجاهدين كانوا يتخيرون من الخيل أجودها وأفضلها أصلاً، فافتتوا بوصف سماتها ومواصفاتها التي تجعل منها جديرة بالاختيار.
 - كان لتصوير ما يقدمه القادة والمجاهدون في الأشعار يعطي حافزاً كبيراً في نفوس البقية من المجاهدين، فتصوير بلاتهم ومجريات نزالهم يعد من الأمور التي تبعث الحماسة والطمأنينة في القلوب.
 - شعر الفتوحات الإسلامية لم يقتصر على من كان شاعراً في سابق عهده، لذلك وجدنا عدداً من الشعراء قد أنطقتهم تلك المعارك والفتوحات، وأخذوا يخرطوا بدائرة الشعراء المتمرسين في هذا الباب، فأجادوا الوصف، والتصوير في موضوعات الحث على الجهاد، ووصف الأسلحة، والخيل، والقادة، والأبطال، ومجريات المعركة، واستطاعوا أن يتمثلوا مضامين الشعر في قصائدهم.

الهوامش:

(١) النعمان عبدالمتعال القاضي، شعر الفتوح الإسلامية في صدر الإسلام، مكتبة الثقافة الأدبية، ٢٠٠٥، (ط١)، ص ٣١.

(٢) شعر الفتوح الإسلامية في صدر الإسلام، ص ٣٢.

إلهام القرائة

- (٣) حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي - الأدب القديم -، بيروت، دار الجبل، ١٩٥١، (ط١)، ص ٣٨٥.
- (٤) شكري فيصل، المجتمعات الإسلامية في القرن الأول هجري، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٧٣، ص ٣٤٧.
- (٥) محمد بن عمر الواقدي (ت ١٣٠هـ/٧٤٧م)، فتوح الشام، تحقيق: عبداللطيف عبدالرحمن، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٧، (ط١)، ج ١، ص ٤٤.
- (٦) فتوح الشام، ج ١، ص ١٧٣.
- (٧) فتوح الشام، ج ١، ص ٤٥.
- (٨) فتوح الشام، ج ١، ص ٢١٠.
- (٩) أحمد بن داود الدينوري (٢٨٢هـ/٨٩٥م)، الأخبار الطوال، تحقيق: حسن الزين، بيروت، دار الفكر الحديث للطباعة والنشر، ١٩٨٨، ص ٩٧.
- (١٠) فتوح الشام، ج ١، ص ٢٨٤.
- (١١) فتوح الشام، ج ٢، ص ١٢٠.
- (١٢) شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي في العصر الجاهلي، القاهرة-مصر، دار المعارف، ١٩٦٠، (١١)، ص ٢٠٥.
- (١٣) عمرو بن معدى كرب الزبيدي (٢١هـ/٦٤٢م)، حياته وشعره، جمع وتحقيق مطاع الطرايشي، دمشق-سوريا، منشورات مجمع اللغة العربية، ١٩٨٥، (ط٢)، ص ٨٠.
- (١٤) عمرو بن معدى كرب الزبيدي حياته وشعره، ص ١٣٣.
- (١٥) جمال الدين ابن منظور (٧١١هـ/١٣١١م)، مختصر تاريخ دمشق، تحقيق: روحية النحاس ومحمد الحافظ، دمشق، دار الفكر، ١٩٩٠، ج ٢١، ص ٨٩.
- (١٦) فتوح الشام، ج ١، ص ٧.
- (١٧) صلاح الدين الصفدي (٧٦٤هـ/١٣٦٢م)، الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركى مصطفى، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠٠م، (ط١)، ج ٨، ص ١٢٢.
- (١٨) علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر الدمشقي (٥٧١هـ/١١٧٥م)، تاريخ مدينة دمشق، تحقيق: عمر العمري، بيروت، دار الفكر، ١٩٩٥م، ج ٢، ص ١٠٧.
- يوم الرداغ: وهو يوم معركة فحل، إحدى معارك فتوح الشام، وقد جرت أحداثها بين المسلمين والرؤم في منطقة من مناطق الأردن تسمى حالياً طبقة فحل، انظر: أحمد بن يحيى البلاذري (٢٧٩هـ/٨٩٢م)، فتوح البلدان، تحقيق: رضوان محمد رضوان، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٧م، ج ١، ص ١١٨.
- (١٩) القعقاع بن عمرو التميمي (٤٠هـ/٦٦٠م)، الديوان، جمع وتحقيق ودراسة: الدكتور حسن الربابعة، عمان، الاردن، ٢٠٠٧م، (ط١)، ص ١٠٧.
- (٢٠) عمرو بن معدى كرب الزبيدي حياته وشعره، ص ٨٨.
- (٢١) أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ/١٤٤٨م)، الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٥م، ج ٥، ص ١٠٤.

- (٢٢) أحمد بن يحيى البلاذري (٢٧٩هـ/٨٩٢م)، فتوح البلدان، تحقيق: رضوان محمد رضوان، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٧م، ج ١، ص ١٥٤.
- (٢٣) عبدالقادر بدران، تهذيب تاريخ ابن عساكر، بيروت، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر، ١٩٨٧م، ج ٥، ص ٤٠٣.
- (٢٤) عمرو بن معدي كرب الزبيدي حياته وشعره، ص ١٣٣. الرأهش: العصب التي تظهر في ظاهر الذراع، مادة "رَهَش". دلاًصاً: الدرع اللين البراق الأملس، مادة "كَلَصَ".
- (٢٥) عمرو بن معدي كرب الزبيدي حياته وشعره، ص ٢٥٣.
- (٢٦) عمرو بن معدي كرب الزبيدي حياته وشعره، ص ١٣٣. ذي فائش: "وادي يقع في اليمن"، الحموي، معجم البلدان.
- (٢٧) عمرو بن معدي كرب الزبيدي حياته وشعره، ص ١٦٤.
- (٢٨) عمرو بن معدي كرب الزبيدي حياته وشعره، ص ١٩٦.
- (٢٩) القعقاع بن عمرو التميمي الديوان، ص ٤٣.
- (٣٠) القعقاع بن عمرو التميمي الديوان، ص ٦٣.
- (٣١) فتوح الشام، ج ١، ٢١١.
- (٣٢) ياقوت الحموي (٦٢٦هـ/١٢٢٩م)، معجم البلدان، بيروت، دار صادر، ١٩٧٧، ج ٢، ص ٤١٢.
- (٣٣) عبدالقادر البغدادي (١٠٩٣هـ/١٦٨٢م)، خزنة الأدب، تحقيق: إميل يعقوبي ومحمد طريفي، بيروت، دار الجيل، ١٩٩٨م، ج ٣، ص ٥٥٠.
- (٣٤) تاريخ مدينة دمشق، ج ٢، ص ١٠٧.
- (٣٥) الأخبار الطوال، ص ٩٧.
- (٣٦) القعقاع بن عمرو التميمي الديوان، ص ٦٢.
- (٣٧) القعقاع بن عمرو التميمي الديوان، ص ١٥٨.
- (٣٨) نوري جودت القيسي، الفروسية في الشعر الجاهلي، بغداد، مكتبة النهضة، ١٩٦٤م، (ط ١)، ص ٢٦.
- (٣٩) القعقاع بن عمرو التميمي الديوان، ص ١٥١.
- (٤٠) نهر "شير": وهو نهر يقع غرب المدائن، وبالقرب منه حدثت وقعة بين المسلمين والفرس، قُتل فيها أمير الفرس "شهریار"، حيث قتلته رجل من المسلمين يقال له "نائل الأعرجي"، للمزيد ينظر: إسماعيل بن عمر بن كثير، البداية والنهاية، تحقيق: عبدالله بن عبدالمحسن، مصر، دار هجر، ١٩٩٧م، ج ٧، ص ٧١.
- (٤١) دُعاف: سريع، مادة "دَعَفَ".
- (٤٢) عواف: ما يصطاده الإنسان ليلاً، مادة "عَوَفَ".
- (٤٣) القعقاع بن عمرو التميمي الديوان، ص ١٠٩.
- (٤٤) القعقاع بن عمرو التميمي الديوان، ص ١٤٣.
- (٤٥) خزنة الأدب، ج ١، ص ٥٥٦.
- (٤٦) أبو الفرج الأصفهاني (٣٥٦هـ/٩٦٧م)، الأغاني، تحقيق: إحسان عباس وآخرون، بيروت، دار صادر، ٢٠٠٨م، (ط ٣)، ج ٧، ص ٤٤١.

Alhawamishu:

- Alnueman eabdalmutaeal alqadi, shaer alfutuh al'iislatmiat fi sadr al'iislami, maktabat althaqafat al'adabiati, 2005, (ta1), sa31.
- Shaer alfutuh al'iislatmiat fi sadr al'iislami, sa32.
- Hnna alfakhuri, aljamie fi tarikh al'adab alearabii - al'adab alqadim -, bayrut, dar aljil, 1951, (tu1), sa385.
- Shikri fayusalu, almujtamaeat al'iislatmiat fi alqarn al'awal hijri, bayrut, dar aleilm lilmilayin, 1973, sa347.
- Muhammad bin eumar alwaqidii (t130h/747mi), fatuh alshaami, tahqiq: eabdallatif eabdallahman, bayrut, dar al kutub aleilmia, 1997, (ta1), ja1, sa44.
- Futuh alshaami, ja1, sa173.
- Futuh alshaam, ja1, sa45.
- Futuh alshaami, ja1, sa210.
- Ahmad bin dawuud aldiynuriu (282h/895mi), al'akhbar altawali, tahqiq: hasan alziyni, bayrut, dar al fikr alhadith liltibaeat walnashri, 1988, sa97.
- Fatuh alsaam, ja1, sa284.
- Fatuh alshaam, ja2, sa120.
- Shawqi dayfi, tarikh al'adab alearabii fi aleasr aljahili, alqahiratu-masir, dar almaearifi, 1960, (11), sa205.
- Eamru bin muedi karb alzubaydii (21hi/642mi), hayatuh washaerahu, jame watahqi matae altarabishi, dimashqa-surya, manshurat
- Majmae allughat alearabiati, 1985, (tu2), sa80.
- Eamru bin muedi karb alzubaydii hayatuh washaerahu, s 133.
- Jamal aldiyn abn manzur (711hi/1311mi), mukhtasar tarikh dimashqa, tahqiq: ruhiat alnnhhas wamuhamad alhafizi, dimashqa, dar alfikri, 1990, ja21, sa89.
- Fatuh alshaami, ja1, si7.
- Salah aldiyn alsafadiu (764h/1362mi), alwafi balufyat, tahqiq: 'ahmad al'arnawuwt waturki mustafaa, bayrut, dar 'iihya' al turath alearabii, 2000m, (ta1), ja8, sa122.
- Eali bin alhasan bin hibat allh bin easakir aldimashqii (571h/1175mi), tarikh madinat dimashqa, tahqiqa: eumar aleumrui, birut, dar alfikri, 1995m, ja2, sa107.
- Yawm alridae: wahu yawm maerakat fahala, 'iihdaa maearik futuh alshaami, waqad jarat 'ahdathuha bayn almuslimin walrrum fi mintaqat min manatiq al'urduni tusamaa halyaan tabaqatan fahil, anzur: 'ahmad bn yahyaa albaladhiria (279ha/892mi), fatuh albildan, tahqiqa: ridwan muhamad ridwan, bayrut, dar al kutub aleilmia, 1987m, ja1, sa118.
- Alqaeqae bin eamrw altamimi (40hi/660mi), aldiyan, jame watahqi wadirasatu: alduktur hasan alrababieati, eaman, alardin, 2007ma, (ta1), sa107.
- eamriw bin muedi karb alzubaydii hayatuh washaerahu, 88.
- 'ahmad bin eali bin hajar aleasqalanii (852h/1448mi), al'iisabat fi tamyiz alsahabati, tahqiq: eadil 'ahmad eabdalmaujud waeali muhamad mueawad, bayrut, dar al kutub aleilmia, 1995m, ja5, sa104.

- 'ahmad bin yahyaa albaladhuri (279hi/892mi), fatuh albidan, tahqiq: ridwan muhamad ridwan, bayrut, dar al kutub aleilmiati, 1987m, ja1, sa154.
- eabdalqadir badran, tahdhib tarikh aibn easakiri, bayrut, dar 'iihya' al turath al arabii liltibaeat walnashri, 1987m, ja5, sa403.
- eamru bin muedi karb alzubaydii hayatah washaeruh , sa133.
- alrrahsh: aleasab alati tazhar fi zahir aldhiraai, madatan " rahash ".
- dlasaan: alddre allalyn albrraq al'amlas, mada " dalas ".
- eamru bin muedi karb alzubaydii hayatah washaeruh , sa253.
- eamru bin muedi karb alzubaydii hayatah washaeruh , sa133.
- dhi fayish: " wad yaqae fi alyaman ", alhamwy, muejam albidiran.
- eamru bin muedi karb alzubaydii hayatah washaeruh , sa164.
- eamru bin muedi karb alzubaydii hayatah washaeruh , sa196.
- alqaeqae bin eamrw altamimi aldiwan, sa43.
- alqaeqae bin eamrw altamimi aldiwan, sa63.
- fatuh alshaami, ja1, 211.
- yaqut alhamawi (626h/1229mi), muejam albidan, birut, dar sadir, 1977, ja2, sa412.
- eabdalqadir albaghdadi (1093h/1682mi), khizanat al'adbi, tahqiq: 'iimil yaequbi wamuhamad tirifi, birut, dar aljili, 1998m, ja3, sa550.
- tarikh madinat dimashqa, ja2, si107.
- al'akhbar alttwal, sa97.
- alqaeqae bin eamrw altamimi aldiwan, sa62.
- alqaeqae bin eamrw altamimi aldiwan, sa158.
- nuri jawdat alqaysi, alfurusiat fi alshier aljahili, baghdadu, maktabat alnahdati, 1964m, (ta1), si26.
- alqaeqae bin eamrw altamimii aldiwan , sa151.
- nahr "shir": wahu nahr yaqae gharb almadayini, wabialqurb minh hadathat waqeat bayn almuslimin walfurs, qutl fiha 'amir alfurs " shahryar", hayth qatalah rjl min almuslimin yuqal lah "nayil al'aerji", lilmazid yanzari: 'ismaeil bin eumar bin kathirin, albidayat walnihayata, tahqiq: eabdallah bin eabdalmuhsan, masra, dar hijr, 1997m, ja7, sa71.
- dhueaf: sryeun, mada "dhaeafa".
- eawafi: ma yastaduh al'iinsan lylaana, mada "eawafa".
- alqaeqae bin eamrw altamimi aldiwan, sa109.
- alqaeqae bin eamrw altamimi aldiwan, sa143.
- khizanat al'adbi, ja1, sa556.
- 'abu alfaraj al'asfahani (356hi/967mi), al'aghani, tahqiq: 'iihsan eabaas wakhrun, birut, dar sadir, 2008ma, (ta3), ja7, sa441.